الهوية في ما بعد الكولونيالية شعر فدوى طوقان أنموذجا.

Postcolonialism Identity in Fadwa Touqan's Poetry.

نجلاء العيفة*
جامعة العربي التبسي-تبسة-/الجزائر
najla.laifa@univ-tebessa.dz

خولة زواري
جامعة العربي التبسي-تبسة-/الجزائر
Khaoula.zouari@univ-tebessa.dz

تاريخ الوصول 2021.02.02 تاريخ القبول 2021.04.08 تاريخ النشر 2021.06.04

ملخص:

تعد إشكالية الهوية من أهم الاشكاليات المتعلقة بنظرية ما بعد الكولونيالية، خاصة وأنّ الهوية أصبحت مجزأة ولم يعد لها أي أساس ثابت، وقد غيبت بعض الشعوب في الجانب السياسي خاصة الشعب الفلسطيني، الذي لم تسمح له أوضاع وجوده بالظهور، فقد حدث طمس لهويته من طرف الآخر الذي يرى بأنّ هذا الأخير لا يستطيع تمثيل نفسه وهو الوحيد القادر على تمثيله، فاتخذ الفلسطيني من اللغة آلية يمثل بها هويته ويسرد بها اغترابه ويشكلها في عالم خاص به، وقد عملت العديد من الأعمال على احتضان هذه الإشكالية، ومن بينها الأعمال الشعرية لفدوى طوقان.

الكلمات المفتاحية: الهوية، ما بعد الكولونيالية، الاغتراب، الذات، الآخر.

Abstract:

The problem of identity is one of the most important problems related to post-colonial theory, more precisely since identity has become fragmented and no longer has any stable basis. Some peoples have been absent from the political side, especially the Palestinians whose conditions of existence did not allow them to emerge. Their identity has been obliterated from the other side that is seen as the only one able to represent them. Therefore, the Palestinians use the language as a mechanism to represent their identity and narrate their expatriation formed in a world of their own. A great deal of works tackled this problem, one of which is Fadwa Toukan's poetry.

Keywords: identity; post colonialism; expatriation; the self; the other.

مقدمة:

يلجأ الشّاعر العربي إلى البحث عن ذاته التي سلبت منه، ليجد سبلاً وآليات جديدة تمكنه من التعبير عن حالة التمزق والضياع التي يعيشها وفق تجربة شعرية فنيّة، ويجدر بنا الحديث على الشّاعر الفلسطيني خاصة لما تم تغييب

*المؤلف المرسل

صوته واستبعاده من قبل الآخر (العدو)، فاتجه نحو اللُّغة بجمالياتها لينسج من خلالها خطاب الفلسطيني المشتت والضائع في أرضه.

وتعتبر التجربة الشعريّة النسويّة لفدوى طوقان من أهم التجارب التي تناولت موضوع الذّات والهويّة، حيث حاولت أن تثبت وجودها في شعرها وفق خطاب فلسطيني يجمع بين الشكوى والألم وتسري فيه روح المقاومة، لذلك يهدف هذا البحث للوقوف عند معاناة الشاعرة وتمزق هويتها واغترابها، ونحاول الاجابة على التساؤلات التالية: كيف حاولت الشاعرة تمثيل هويتها المفقودة في شعرها؟ وإلى أي مدى استطاعت التجربة الحياتية تكوين رؤية القلق الوجودي وأزمة الهوية؟ وللإجابة عن هذه الاشكالية ارتأينا أن تكون هناك اضاءة نظرية حول موضوع الهوية، والهوية السردية، ومقاربة سيميائية لبعض النصوص الشعريّة لفدوى طوقان.

1. الهوية

برز مصطلح الهوية في ميادين ومجالات شتى وتنوعت استخداماته وبالتالي أصبح من الصعب تحديد الهوية في زاوية معينة وثابتة، حيث يرى أشرف محمد أنّ "مفهوم الهوية واسع الانتشار منذ ستينيات القرن الماضي، حيث استخدم في تحليل كثير من الحقائق المتنوعة في علم نفس الأفراد وتحولات الأديان والصراعات العرقية والهجرة والحياة الأسرية وغيرها الكثير هذا الانتشار كان له تأثيرًا سلبيا على المفهوم تمثل في صعوبة وضع تعريف محدد للهويّة"[1] يغدو بذلك الحديث عن مصطلح الهوية شاسع، يحمل العديد من الدلالات وبالتالي يصعب القبض على مفهوم واحد يميزه خاصة أنّ "مصطلح الهويّة في حدّ ذاته لا يمتُ بصلة إلى جوهر اللّغة العربية فهو طارئ عليها ومن منظومة أخرى"[2] فللهويّة جذور عميقة في الحضارة العربيّة فقد عرفه الفكر العربي منذ القدم وتواصل نماء هذا المفهوم حتى العصر الحديث.

قدم أمين معلوف تعريف مبسط للهويّة حيث يقول "هويّتي هي ما يجعلني غير مماثل مع أيّ شخص آخر، وبتحديد كلمة هويّة على هذا النحو تصبح مفهومًا دقيقا إلى حدّ ما، ولا يؤدي إلى أيّ لبْس "[3]؛ بمعنى ما يميز الإنسان عن غيره من خصائص ينفرد بها بحيث تُكوّن الذّات معالمها وتكون الهويّة منفردة بذلك واضحة الملامح والخصائص.

قبل التقرب من النص الشعري لفدوى يمكننا التطرق لمفهوم الهويّة السردية عند بول ريكور Paul Recoeur و كيف تستطيع الذّات سرد أحداث وجودها عبر التاريخ حيث عمل على استعادة مفهوم السّرد من خلال علاقة التاريخ بالمتخيل حيث أصبحت الهوية قائمة على مفهوم الفعل والفاعل، بمعنى أنّها غدت مقولة للممارسة، فقد ارتكزت هذه الأخيرة من وجهة نظره الأولية على ما يسمى الحبكة، يستحضر الحديث عن الأجناس الأدبية إذ «نجد إشارة أساسية للطريقة التي تربط بها تجربة الزمن القصصية بطريقتها الخاصة الزمان المعيش بالزمان المدرك بوصفه بعدا من أبعاد العالم في حقيقة أنّ الملحمة الدراما والرواية لا تتردد في الجمع بين شخصيات تاريخية تماما ووقائع مؤرخة الحدوث أو يمكن تأريخها، ومواقع جغرافية معروفة، وبين شخصيات ووقائع وأماكن

مختلفة»[4] و يرى ريكور في حديثه عن السّرد والتاريخ أنّه لابد من إضفاء السّرد على التاريخ حتى تتحقق قصديّة المؤرخ" تستمد هذه الأحداث التي تسميها "صانعة الحقبة" معناها من قدرتها على تأسيس أو تعزيز شعور الجماعة بهويتها، سواء أكانت هوية سرديّة او هوية أعضائها كذلك "[5]، وهو هنا يتحدث عن الأحداث التي ترى فيها الجماعة أصلها وعودة لبداياتها لذلك تصر الجماعة على اعتبارها أحداثا ذات دلالة.

إنّ اصرار ريكور على حضور السّرد نابع من وجهة نظر مقنعة إلى حدّ كبير، حيث يرى أنّه لابد من "اعتبار السّرد حارسا للزمان مادام الزمان لا يمكن التفكير فيه من زمان مروي "[6]، فهناك إذا تطابق بين الزمان والسّرد، والذّات حتى تكون فاعلة لابد لها أن تروي تاريخها وتسرده، وهي بهذا تصنع التاريخ بكشفها عن هويتها وجعلها في شكل حكاية مروية في قالب سردي يختاره المؤرخ، بحسب الجنس السّردي الذي يميل إليه، ليجعله قالبا يحوي كتاباته التاريخية وابداعه الحقيقي المتخيل في الآن نفسه.

تتسم الهوية السّردية بميزة التطور والتغير عبر الزمن، وعلى حسب تغير تاريخ الذّات، الذّات التي تحمل عناء تصوير ذاتها سرديا، وهذا دليل على وجود علاقة بين هذه الذات والهوية السردية "إذ يمكن القول إنّ الذّات التي تتسم بمطابقة ذاتها قد أعاد تصويرها انكباب تأملي على تصورات سرديّة من هذا النوع وخلافا للهوّية المجردة لدى المطابق، يمكن أن تشمل الهويّة السرديّة المكونة الذّات على التغير والتبدل في إطار تماسك زماني حياتي واحد"[7] والذّات مطالبة بالحفاظ على ذاتها، فهي تفي بالوعد الذي قطعته على نفسها بأن تحافظ عليها.

إنّ الحفاظ على الذّات يتأتى حسب بول ريكور من استمرار هذه الذّات في تصوير نفسها وحياتها ومعاناتها، في إطار قصصي خيالي أو حقيقي وهو ما يبعث في النفس قابلية الاستمرار، إذ أنّ بوح الذات بمعاناتها هو بمثابة تخليصها من هذه المعاناة أو على الأقل التخفيف عليها، وهو ما يذكرنا بمصطلح التطهير الأرسطي، إلا أنّ الاختلاف هنا يكمن في أنّ التطهير الأرسطي قائم على التركيز على المشاهد بشكل خاص، أما عند ريكور يستهدف المشاهد والممثل خاصة أنّ هذا الممثل هو نفسه المشاهد، بمعنى أدق السّارد هو نفسه المسرود له، فهو يعيد قراءة كتاباته وسروده، قارئ لتاريخه الذاتي.

إنّ "الحياة الممتحنة بالسرود هي في الجزء الأكبر منها حياة تطهرت وصقلتها آثار التطهير في السرود والحكايات سواء أكانت تاريخية أم قصصية التي تنقلها ثقافتنا "[8]، هي ما يسمح للفرد أن يتشكل في هويتها كذلك الأمر نفسه بالنسبة للجماعة، وفي هذا إعلاء من قيمة القدرة السّرديّة كأنّها أصبحت ضرورة من ضروريات الحياة التي نعيشها ويرويها التاريخ الذي اعتبره ريكور حبكة "فالزمن الإنساني هو زمن سردي والتجربة الإنسانية في الوجود– كما يعيشها الراوي المرء في الرواية التي يخترعها –هي تجربة زمنية "[9] فالزمان هو الذي يفرض علينا تجاربه التي نعيشها، سواء كانت هذه التجارب فردية أو جماعية، فحكايتنا عن معاناتنا هي ما يمثل تاريخنا الحقيقي.

يمكن القول عن الهوية السردية بأنّها "تشكل الجسر الذي سيصل الإنسان المتكلم والفاعل المتأمل بالإنسان الأخلاقي الذي يتحمل تبعة فعله "[10]، فالهوية تتشكل بفعل السّرد وبناء على فعل الفاعل.

2. تجليات الهوية في شعر فدوى طوقان:

فدوى طوقان شاعرة فلسطينية من عائلة معروفة، سميت بشاعرة فلسطين لأنّها عبرت عن القضية الفلسطينية بكل جرأة وحرية، كتبت في الحب والثورة وموقفها من المجتمع، تمثل مثالا يحتذى به فهي مصدر قوة للأنثى من خلال تجربتها؛ بالرغم من أنّها نتاج للمعاناة والاضطهاد حيث منعت من إكمال دراستها، وعانت من الجفاء الأسري والاضطهاد الصهيوني، كل هذا كان له انعكاسا واضحا على شعرها، بل وكان سبب نجاحها فالمعاناة تخلق صانعا للتاريخ وشاعرا للأحزان ومنشدا للأفراح وساردا للحكايات وراويا للقصص، هكذا تشكّلت فدوى طوقان الشّاعرة داخل شعرها بحثا عن ذاتها التي فقدتها، فاتجهت نحو السّرد الشعري وفق رؤيتها التجريبية للواقع فأخذت تبحث عن ذاتها في الطبية والوطن، وفي الحب والألم.

1.2 تيمة الطبيعة

انطلقت فدوى في شعرها من الطبيعة التي كانت مصدر إلهامها وجعلت من أجزاءها قصة تسردها بين حين وآخر "فالطبيعة معين الرومانسيين الذي لا ينضب فهم ينشدون السلوان فيها ويبثونها أحزانهم ويناظرون بين أحاسيسهم ومظاهرها(...) ويخاطبون الأشجار والأزهار والأنهار والنجوم وأمواج البحر"[11]، قصة فدوى طوقان مع الطبيعة قصة من نوع آخر هي بطلتها ففي الطبيعة راحتها، تشكو إليها أحزانها تقول في قصيدتها "مع المروج":

قد جئت، ها أنا، فافتحي القلب الرحيب وعانقيني
قد جئت أسند ههنا رأسي الى الصدر الحنون
وأظل أنهل من نقاء الصمت، من نبع السكون
فهنا بحضنك أستريح، أغيب، أغرق في حنيني[12]

جعلت فدوى من الطبيعة عنصرا تستوحي منه تجربتها فهي بالنسبة لها راحة وحضن يحتويها، بعدما حرمت من هذا الشعور في حياتها، أصبحت تجد في الصمت رمزا للأمان والراحة، تبث صوتها الخفي في هذا الجو الحميمي وتدرك الشاعرة أنّها تجد نفسها فيه فهو المكان الذي يؤنس وحشتها ومصدر السحر لكلماتها تقول:

وهنا، هنا، في جوك المسحور جو الشاعريّة
كم رحت أستوحي الصفا رؤى خيالاتي النقيّة
فتضمني في نعسة الإلهام أجنحة خفيّة
تسمو بروحي فوق دنيا الناس ، فوق الآدميّة [13]

تحاول من خلال هذه الأبيات أن تجعل من الطبيعة عالم إلهام تستقي منه كلماتها وتنسج فيه أفكارها ومرويتها أنّه عالم السحر والخيال الذي تحاول أن تفهم ذاتها من خلاله فهي تخلق صورة للهويّة من خلال الطبيعة حيث "تلعب الدور البارز في صياغة هذه الهويّة على أساس الوعي الرومانسي والوجداني الأصيل والحيوي المرتهن

بالإحساس هذه الطبيعة التي حملت تمظهراتها الشعريّة المتنوعة إشارة باذخة العمق والدلالة عليها في مفاصل كثيرة من شعرية الهويّة"[14] تهرب فدوى من الواقع الذي حرمها من حريتها لتؤسس واقعا مع الطبيعة فهي تعانقها لدرجة الذوبان فيها، وتعكس ما بداخلها لتشكل قصة من نوع آخر إنّها قصة نهايتها ففي أدق التفاصيل لانتهاء مواعيد الطبيعة من خريف وغروب ونور انتهاء لذاتها وتعبر عن ذلك في قصيدتها "خريف ومساء" تقول:

الخـريف الجـهم، والريـح، وأشجـان الـغـروب
ووداع الطـيـر للـنور ولـلروض الكـئيـب
كـلها تمـثل فـي نفـسي رمـزا لانتهائي !
رمـز عمـر يتـهـاوى غـاربا نحـو الفـناء
فـترة، ثـم تلـف العـمر، أستـار المغيـب[15]

تشكو فدوى هنا عن حزنها وآلامها وتحاول أن تجعل من مخلوقات الطبيعة رفقاء لها يواسونها في عزلتها وانهيارها وبهذا تحول زمنها الإنساني ليكتسب مظهرا سرديا من خلال كلماتها وفي قصديتها "الشاعرة والفراشة " تحاول أن تعبر عن معاناتها الذاتيّة فتجعل من الطبيعة مخبأ تختبأ ورائها، بعد أن فقدت الاهتمام من عائلتها التي قيدتها بالعادات والتقاليد وحاولت أن تجعل منها ركن زاوية في بيتها، فبالرغم من أنّ الطبيعة رمزا ومؤشرا للحيويّة إلاّ أنّ الشّاعرة وما تحمله في وجدانها من كآبة جعلتها ساكنة وكلما أرادت أن تمعن النظر بعمق في الكون الساحر أتى ما يضيع نشوتها تقول:

مـا أجـمل الوجود !! لكنـها أيقظـها من حلو إحساسها
فـراشـة تجدلت فـي الثـرى تـودعـه آخـر أنفـاسهـا
تموت في صمت كأن لم تفض مسـارح الروض بأعراسهـا [16]

حاولت الشّاعرة أن تعيد نفسها من خلال الطبيعة لكنها تفقدها، فهي تجسد ذاتها من خلال صورة الفراشة التي تحتضر والتي لم تجد من يساندها وتساند نفسها بنفسها لكن قسوة الوجود تسحقها فتقول:

أختـاه لا تأسي فهذه أنـا أبكيك بالشعر الحنون الرقيق
قـد أنطـوي مثلك منـسية لاصـاحب يذكرنـي أو رفيـق
أواه: ما أقسى الردى ينتهي بنا إلى كهف الفناء السحيـق[17]

في هذه الأبيات تبدوا أنّها تساند الفراشة لكنها في الحقيقة هي تساند نفسها من خلال شعرها تحاول إضفاء جو من الاطمئنان فتحاول التخفيف من هول المصيبة، وتظهر في صورة منكسرة وضعيفة فهي مصابة بمرض نقص الحب، و تنفي وجود الصاحب أو الرفيق الذي يهتم لأمرها، فليس معها سوى كلماتها وأشعارها التي تبكي بها حالها.

2.2 تيمة الحب:

تبحث فدوى عن الحب الذي فقدته منذ طفولتها فهي تعيد سرد حكايتها كلما سمحت لها كلماتها فلا صاحب يؤنسها ولا حبيب يواسيها، فجعلت من قصيدتها موطنا للبحث لعلّها تجده تقول في قصيدتها "من الأعماق":

سرت وحدي، في التيه، لا قلب يهتز صدى خفقه بقلبي الوحيد
سرت وحدي، لا وقع خطو سو خطوي على المجهل المخوف البعيد
لا رفيق لا صاحب لا دليل، غير يأسي ووحدتي وشرودي
وجمود الحياة يضفي على عمري ظل الفناء... ظل الهمود[18]

نلمح نفيا متواصلا ومتواليا لوجود الحبيب والأنيس (لا رفيق، لا صاحب، لا دليل) وبقي معها الأسى والوحدة والشرود مما يعكس معانتها من الحرمان يجعلنا نتساءل عن الحجم الهائل من الضياع والفقد؟ وكيف تحمّلت كل هذا التيه والضياع ؟ ، حكاية فدوى حزينة مليئة بالسلبيات، فرضها عليها زمانها ولابد أن تعيشها وتتقبلها وتتنازل عن وعيها وتستعين بأحلامها لعلّها تحقق لها أمنياتها وتمنحها شعور السعادة تقول في قصيدتها "ساعة في الجزيرة":

هنا يا رفيق حياتي انا
وأنت أمامي، أمامي هنا
وهذا المكان
يلف الغرام سماه وأرضه
وهذا الأمان
وهذا الرضى، كل هذا لنا [19]

تخلق الذّات الشّاعرة لقاء وهمي مع الحبيب في جزيرة مدّة اللقاء ساعة فهي تجسد حضور الأنا والآخر أمامها وتحاوره بل أن حياتها كلها حصرتها في هذا اللقاء الذي لطالما تمنته، وسعادة حلمت بها (هذا المكان، هذا الأمان, هذا الرضى)، فقد تناست كل الهموم وقررت أن تعيش هذه الأجواء داخل كلماتها وهذا مؤشرا لأيقونة الفقد الذي تعيشه.

3.2 تيمة الوطن:

ترجمت فدوى مشاعرها اتجاه الوطن في قصائدها المختلفة وانعكس الصراع الذي واجهه الشّعب الفلسطيني في أشعارها وعانت كثيرا من فراقها لوطنها، حيث تسرد حكاية وطنها كلما سمحت لها الفرصة فهي تعبر عن حبها في أسطر يمتزج فيها الحب بالحنين تقول في قصيدة "كفاني أظل بحضنها" تقول"

كفاني أموت على أرضها
وأدفن فيها

وتحت ثراها أذوب وأفنى

وأبعث عشبا على أرضها[20]

فهي تتمنى أن تبقى في وطنها حتى ولو صارت بقايا في هذا الوطن المهم أن تبقى داخله وتموت وتفنى فيه، حيث كان شعرها ممزوجا بحب الوطن، والدفاع عليه، حاملة مطلب الحرية بين أسطره تقول في قصيدتها "حرية شعب":

حريتي !

حريتي !

حريتي !

صوت أردده بملء فم الغضب

تحت الرصاص وفي اللّهب[21]

تطالب الشّاعرة بحرية وطنها وتؤكد على ذلك وتندد بالصوت والقلم تحت كل ظرف من الظروف، فحريتها من حرية الوطن وبذلك كان الشعر وسيلة لنقل حكاية الوطن والشعب الفلسطيني، فإنّ فدوى شاعرة المقاومة، تبث مقاومة شعبها للصهيون في قصيدتها "شهداء الانتفاضة" تقول:

رسموا الطريق إلى الحياة

رصفوه بالمرجان، بالمهج الفتية بالعقيق

رفعوا القلوب على الأكف حجارة، جمرا، حريق

رجموا بها وحش الطريق[22]

وتصور حجم الخسائر البشرية في مقاومة دامية بعد صمود طويل ومعاناة كبرى في مواجهة ضخمة تقول:

هجم الموت وشرّع فيهم منجله

انتفضوا... وثبوا... نفروا

انتشروا في الساحة حزمة نار

اشتعلوا.. سطعوا.. وأضاءوا

في منتصف الدرب وغابوا[23]

تجلّت روح القومية، في هذه الأبيات والايمان بالانتصار هكذا كانت تسرد فدوى قهر ومأساة شعبها تحت وطأة العدو وضياعه أمام عينيها فجعلت تؤرخ لبطولاته وتفتخر بانتفاضاته.

4.2 الذات والاغتراب:

طرحت الشّاعرة قضية الذّات المغتربة التي نددت بها بين صفحات ديوانها، هذه الذّات التي حُرمت من حريتها منذ طفولتها وعاشت سجينة لم تعرف للنور مكان في حكايتها، وتسرد ذلك في قصيدتها "في ضباب التأمل" تقول:

ومضـيت شاردة أقلـب في الظـلام كـتاب عـمري
صــور، وأطــياف كئيبات، تلون كـتل سـطـر
فـهناك خـــيال شاحـــب لم ترحم الدنيا ذبـوله
هذا خيال طفـولة لم تـــدر ما مـرح الطفــولة
هنا صبا عضـت عليـه قيود ســجن واضطهاد[24]

تعيد فدوى قراءة تاريخها الذي اختارت الظلام لقراءته وتسرده في هذه الكلمات التي تعبر حقيقة عن معاناتها منذ طفولتها التي تلونها الكآبة فلم تعش طفولتها كما يجب، فقد حرمت من اللّعب والمرح الذي هو أبسط حقوق الطفل، وحرمت من حريتها في صباها وتم سجنها داخل البيت الذي لم تبرحه ولم تعرف فيه طعم الحنان ولا سعادة فالذّات الشّاعرة تمّ اضطهادها من قبل الآخر ورغم ذلك تقول "لا أؤمن بجبرية تأتينا من الخارج وإنما الجبرية تكمن في داخل الذّات هي جزء لا ينفصل عن النفس ومن هنا مأساة وجودنا الإنساني"[25] ، تتمركز الشّاعرة حول ذاتها وهذا كله نتيجة تجربتها الشخصية فقد ولدت وحيدة وعاشت وحيدة وماتت وحيدة وكانت دائما تسعى لتحرير هذه الذّات وذكرت ذلك في قصيدتها "لا مفر" تقول:

أأملك تغيير مجرى حياتي
وتحرير ذاتي؟
أكنت أبدل حقا مصيري
وأملك تسيير خطواته؟[26]

تضع نفسها في موضع السؤال تسأل نفسها هل بإمكانها تحرير ذاتها ،فهي غير راضية على مصيرها فهذه الذّات المتكلمة تكتب من أجل التعرف على حقيقة الذّات ولكن في الحقيقة هي تعي أشد الوعي بأنّها لا تستطيع فعل ذلك فالحياة قصة لابد أن نعيشها كما فُرضت علينا و لتحافظ الذّات على كينونتها لابد أن تستمر في تصوير حياتها وتاريخها تقول في قصيدتها "وقد حدثتني ذات ليلة":

أهيم وراء شواطئ ذاتي
أهيم بعيدا وليس معي
سوى وحشة الليل في مخدعي[27]

تعيش الشّاعرة اغتراب نفسي رهيبا واختارت رمزية الليل الموحش ليكون أنيسا لها ؛ فالليل أنيس المغترب وقاتله في الوقت نفسه لما يبثه من أفكار سوداء كلونه في ذهن الساهرين، تمنح الشّاعرة وجودا لذاتها داخل هذا المحور السّردي فهي تهيم بحثا عن ذاتها "فالذات التي لا تكون بمعزل عن تاريخيتها اذ تعيد بناء ماضيها حدثا وصورة للحدث بأساليب رمزية تريد أن تقيم لها علاقة تثاقف بين الذّات والآخر انفتاحا وتغايرا"[28].

حين تكون الذّات حاملة لذّاتها وحامية لها، في أوضاع تفرض مثل هذا الحال لابد للذّات الشّاعرة أن تعبر وأن تتكلم و تتولى أمر العناية بنفسها تقول في قصيدتها "بين المد والجزر"

حين الكلمات تصير على

ألسنة الكذب هلامية

أتداخل في ذاتي ، أتقلص

أنكمش وأضمر[29]

تتحدث فدوى عن ذاتها المغتربة في محاولة منها لتعي ذاتها داخل الشّعر فالانا مضمر في اللُّغة كما هي مضمرة في الواقع (أتداخل، أتقلص، أنكمش)، تجد الذّات نفسها تتراجع وتستسلم اذ تزيدها اللُّغة غربة وتيها، لتجد ذاتها تصر على الغياب "في الوقت الذي يتحدث فيه التعبير عن الاشارة بوصفها دالا يحيل إلى حقيقة خارجية ،هذا الوقت أو هذه المهلة تستحيل إلى شيء آخر ... فإنّ الدال لا يحيل إلى مدلول وإنما يشغل موقع دال آخر في لعبة لا نهائية"[30].

نجد الرفض والكره واضحا في شعر فدوى وذلك كله نتيجة الاغتراب الذي تعيشه من اغتراب اجتماعي وعاطفي لتنتقل إلى اغتراب إبداعي بين الكلمات:

أواه يا معركة الأعماق كل أمسية

عن وجهنا الأصيل ترفع القناع

وتفلت الأحزان في إسارها

ألا يد تمتد للمكبل الغريق[31]

تعاني الشّاعرة اغترابا نفسيا رهيبا ولا تجد من ينقذها أو يمد لها يد العون، ويستمر غياب الشّاعرة بين طيات ديوانها تقول:

ليالي واقفة ..صمت داري انتظار الزمان البطيء

تراه يجيء؟

غياب غياب غياب

وغاب الغياب

يزهر صوتك جفناي ينسدلان على نخلة فارغة[32]

تعيش فدوى وجودا زائفا فرضته عليها ظروف حياتها الطارئة، فتتخذ من الليالي أنيسا لها لكن الليالي تقف ضدها، والزمان جامداً لا يتحرك إنّه عالم غياب الغياب.

3. خاتمة:

من خلال ما تطرقنا إليه في البحث وقراءتنا لشعر فدوى طوقان، نجد الشّاعرة تمثل لتجربة شعرية تكشف تمثلات الذّات في الخطاب ما بعد الكولونيالي، وتصور هويتها من خلال زمنها المفقود الذي تبحث عنه في الطبيعة والوطن، ويمكننا استخلاص النتائج التالية:

- ✓ تحاول الشّاعرة أن تعيد هويتها ومكانها وزمانها المفقود حيث تلغي انشطارها مع العالم المادي وتتصالح معه داخل ألفاظ قصيدتها.
- ✓ شعر فدوى طوقان عبارة عن حكاية تعيد سردها وفق حبكة تُغيّر أبطالها حسب ما فرضه الزمان والواقع أو وما تمليه الأحلام والمخيّلة.
- ✓ حكاية الشّاعرة فرضها عليها زمانها وتاريخها ومخيلتها، فالحياة تعاش والقصص تروى.
- ✓ كتابات الشّاعرة عبارة عن بحث في الهويّة التي لا تملكها أساسا منذ طفولتها وبحث عن الهوية التي سلبت منها، فجعلت من كتاباتها تاريخا يفرض وجودها ويفك عقدها.
- ✓ تجربة الشّاعرة تجربة زمانيّة ولّدت لديها الكثير من الالتباسات فجعلت من الزمان زماناً مرويا حتى تزيل هذا اللبس.

4- الهوامش:

[1] أشرف محمد عبيد: قضية الهويّة الوطنية في الخطاب السياسي السوداني منذ 1999، المكتب العربي للمعارف، القاهرة،2016 ، ص26.

[2] رسول محمد رسول: محنة الهويّة (مسارات البناء وتحولات الرؤية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ط1، ص17.

[3] أمين معلوف: الهويات القاتلة، تر: نبيل محسن، دار الحصاد، دمشق، 1999، ط1، ص14.

[4] بول ريكور: الزمان والسرد(الحبكة والسرد التاريخي)، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، مر: جورج زيناني، ج1، دار الكتاب الجديد، السوق الأخضر، ط1،2006، ص19

[5] أمين معلوف: الهويات القاتلة، ص 281

[6] بول ريكور الزمان والسرد(التصوير في السرد القصصي)، تر: فلاح رحيم، مر: جورج زيناتي، ج2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006، ط1، ص363

[7] بول ريكور: الزمان والسرد(التصوير في السرد القصصي)، ص371

[8] بول ريكور: الزمان والسرد(الحبكة والسرد التاريخي)، ص372.

[9] بول ريكور: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،2005،ط1، ص25.

[10] بول ريكور: الزمان والسرد(الحبكة والسرد التاريخي)،295 -296

[11] محمد زغلول سلام، النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط، ص128

[12] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سافية الجنزير،1993، ط1، ص8.

[13] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة،ص8.

[14] محمد صابر: الشعر بوصفه هوية من التشكل إلى العلامة، دار الغيداء، الأردن،2003، ص16.

[15] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص11

[16] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص15

[17] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص16

[18] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص51

[19] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص 173

[20] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص426

[21] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص 427

[22] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص540.

[23] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص541

[24] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة ، ص 47،48

[25] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة ص 270

[26] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة ، ص271

[27] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة ، ص289

[28] بول ريكور: الزمان والسرد، ص259.

[29] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص482

[30] محمد شوقي الزين الازاحة والاحتمال: صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، بيروت، 2008، ص38[30]

[31] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص330

[32] فدوى طوقان: الأعمال الكاملة، ص 510

5. قائمة المراجع:

1. رسول محمد رسول: محنة الهويّة (مسارات البناء وتحولات الرؤية)، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2002، ط1.
2. ريكور بول: الزمان والسرد(الحبكة والسرد التاريخي)، تر: سعيد الغانمي وفلاح رحيم، ج1، دار الكتاب الجديد، السوق الأخضر، 2006، ط1.
3. ريكور بول: الزمان والسرد(التصوير في السرد القصصي)، تر: فلاح رحيم، ج2، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت،2006، ط1.
4. ريكور بول: الذات عينها كآخر، تر: جورج زيناتي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان،2005،ط1.

5. سلام محمد زغلول: النقد الأدبي الحديث أصوله واتجاهاته رواده، منشأة المعارف، الاسكندرية، دط.
6. الزين شوقي محمد: الازاحة والاحتمال صفائح نقدية في الفلسفة الغربية، منشورات الاختلاف، بيروت، 2008.
7. صابر محمد: الشعر بوصفه هوية من التشكل إلى العلامة، دار الغيداء، الأردن،2003.
8. طوقان فدوى: الأعمال الكاملة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، سافية الجنزير،1993، ط1.
9. عبيد محمد أشرف: قضية الهويّة الوطنية في الخطاب السياسي السوداني منذ 1999، المكتب العربي للمعارف، القاهرة،2016 .
10. معلوف أمين: الهويات القاتلة، تر: نبيل محسن، دار الحصاد، دمشق، 1999، ط1.